



# مركز دراسات الإستراتيجية

SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

دمشق وطهران والكيان الصهيوني.. هل تتحول الحرب السورية إلى صراع إقليمي؟!!

## مدخل:

قد يرى البعض في السؤال الذي يتصدر عنوان هذه الورقة غير ذي جدوى؛ حيث إنه، ومنذ فترة، فإنه من المعروف أن الحرب السورية، لم تتحول إلى صراع إقليمي فحسب، وإنما أصبحت كذلك ساحة لصراع القوى العظمى في عالم اليوم، باحثة عن، أو محافظةً على مصالح أمنية وسياسية واقتصادية عدة، تجد في سلوك وتدخلات خصومها في سوريا، تهديداً لها.

إلا أنه، وفي النهاية؛ فإن أية تدخلات إقليمية ودولية عرفتها الحرب السورية؛ كانت في إطار صراعات الوكالة، ولم تشهد الحرب السورية إلى الآن أية اشتباكات بين القوى المتحاربة على الأرض السورية بشكل مباشر.

وحتى عملية "عفرين" التي بدأها الجيش التركي بمساعدة مرتزقته في الجماعات المسلحة، وفي "الجيش السوري الحر"؛ فإنها تضمنت منظومة من الترتيبات الصارمة، سواء على المستوى الاستخباري والعسكري، أو المستوى الدبلوماسي والسياسي، ما يضمن عدم حدوث أي خلل يؤدي إلى صدام الجيوش النظامية للدول المنخرطة في الحرب السورية، بشكل مباشر.

وباستثناء القصف الأمريكي لقاعدة "الشعيرات" الجوية السورية، في السابع من أبريل 2017م، على خلفية الهجوم الكيماوي الذي وقع على "خان شيخون" في حينه؛ فإنه لم تقم أية قوة نظامية مسلحة تتبع دولة بالتعرض لقوات دولة أخرى.

وحتى الهجمات الأمريكية الأخيرة قرب دير الزور، لم تطل قوات سورية نظامية، وإنما قوات حليفة للنظام السوري.



# مركز سام للدراسات الاستراتيجية

## SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

إضافة إلى ذلك؛ تبرز أهمية ما وقع بين إسرائيل وسوريا، وفي المنتصف منهما إيران، في أنه يُعتبر تصعيداً في ملف ربما يمثل أحد أخطر الملفات الأمنية والسياسية في المنطقة، وهي الحرب الباردة التي تسخن أحياناً، ما بين إسرائيل وبين إيران ومحورها في المشرق الإسلامي، والذي يضم سوريا والعراق الآن، بالإضافة إلى مجموعات مسلحة تدين بالولاء للمشروع الإيراني الإقليمي، مثل "حزب الله" اللبناني.

وهذا الملف هو الأخطر بالفعل، ولو اندلع؛ فسوف يعني وصول المنطقة إلى نقطة انفجار كبرى لن ينجو منها أحدٌ في ظل ارتباطها بمختلف الملفات السياسية والأمنية الإقليمية الكبيرة، بما فيها ملف الجماعات المسلحة شبه النظامية، وتصادم الأصوليات الذي يضم كافة الشعوب الموجودة في المشرق العربي الآن، وتعتبر سوريا موطناً مهماً له؛ هذا التصادم.

كما سوف يشهد الإقليم – في ظل الترتيبات الأمنية والسياسية الموضوعة لبقاء ووجود الكيان الصهيوني بين ظهرائي أمتنا العربية والإسلامية – تدخلاً عسكرياً مباشراً من جانب القوى العظمى، وخصوصاً التحالف الأنجلوساكسوني الإنجيلي الذي يؤمن تمام الإيمان بشكل ديني عقدي، بالمشروع الصهيوني.

ولذلك، وفي ظل الطابع الديني والسياسي الصفري الحاكم لهذا الصراع؛ فإن لو وصل الأمر في هذا الموضوع إلى مستوى الحرب الشاملة؛ فلن يبقى مكاناً واحداً ينعم بالسلام في المشرق العربي، بما في ذلك منطقة الخليج ذات الأهمية الإستراتيجية العالمية.

.....

وفي هذا الإطار، تحاول هذه الورقة استجلاء واقع الذي جرى في هذا اليوم الاستثنائي، وعلاقته بالتطورات الأخيرة التي جرت في سوريا وارتباطاتها الإقليمية والدولية.

### **سوريا والتصعيد المتواصل!**

جاءت أحداث اليوم العاشر من فبراير 2018م؛ لكي تقول بأن هناك معادلات جديدة يتم فرضها في الحرب السورية، قد تخرج بها عن الإطار "المعتاد" أو حالة الـ"إستاتس كيو"



# مركز سيم للدراسات الإستراتيجية

## SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

(status quo)، المعروفة في الحروب والنزاعات الدولية؛ حيث يصل الموقف إلى حالة من الثبات أو الاستقرار، حتى لو كان الوضع حربياً؛ فإن ذلك يعني أن الحرب تمر بمرحلة "لا جديد" فيها.

وفي حقيقة الأمر؛ فإن ما جرى من تطور نوعي في صدد إرسال الإيرانيين لطائرة من دون طيار لهم، فوق أجواء فلسطين المحتلة عام 1948م، ثم إسقاط مقاتلة إسرائيلية من طراز "إف. 16" أمريكية الصنع فوق الجليل، أي داخل الأراضي الإسرائيلية، بواسطة صواريخ الدفاعات الجوية السورية، بعد قصفها لموقع قرب تدمر، تقول إسرائيل إنه محطة أو قاعدة للطائرات الإيرانية من دون طيار؛ ليس هو الحادث الأول الذي يميز خروج الحرب السورية عن وتيرتها المعتادة.

ففي الفترة الأخيرة؛ شهدت الحرب في سوريا، كسرًا للكثير من الأمور والثوابت التي حكمتها في العامين الأخيرين، مما فت في عضد التفاؤل الذي ساد مع انطلاق عمليتي "أستانة" و"سوتشي" بالتوازي مع عملية "جنيف" التي ترعاها الأمم المتحدة، بأن تشهد الأزمة والحرب في سوريا، في العام الجديد أفاقاً للحل، أو على أقل تقدير تهدئة إنسانية يحتاجها الشعب السوري بالكامل.

ومن بين أبرز معالم ذلك؛ العمليات الواسعة والتصعيد الكبير للنظام السوري وقواته في منطقة الغوطة الشرقية، بالرغم من أنها واحدة من مناطق خفض التوتر التي تم الاتفاق عليها بين القاهرة وموسكو وأنقرة وعواصم أخرى؛ حيث سقط مئات القتلى (ما يقرب من 300 قتيل)، في عدد لم يسقط منذ عامين في أسبوع واحد، بحسب أرقام الأمم المتحدة والمرصد السوري لحقوق الإنسان، الذي يرأسه رامي عبد الرحمن.

ورافق ذلك، عمليات قصف واسعة على العاصمة السورية دمشق من جانب المجموعات المسلحة الموجودة في الغوطة الشرقية، مما أسقط قتلى، ويؤشر إلى نقطة أخرى، وهي التطورات الكبيرة الحاصلة في الشمال السوري، والتي تُعتبر عملية "عفرين" واحدة من مظاهرها، وليس كل مظاهرها.

فالسلك التركي المستجد في الأزمة السورية، لا يقف عند حدود "عفرين"؛ حيث إنه، ومنذ أن عادت تركيا في نهاية العام 2017م، ومطلع العام 2018م الجاري، إلى سياساتها



# مركز دراسات الاستراتيجية

## SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

الإقليمية ذات الطابع الهجومي، تبنت أنقرة الكثير من السياسات التي وأدت بواكير فعلية ظهرت لمعالجة الملف السوري، وذلك لأن هذا كان يضمن بقاء الرئيس السوري بشار الأسد في منصبه.

ومن بين أهم روافد السلوك التركي هذا، هو تزويد تركيا للجماعات المسلحة في شمال سوريا ومناطق أخرى، ومن بينها تنظيمات مُصنفة إرهابية لدى الأمم المتحدة، مثل جبهة "النصرة"، بالإضافة إلى دعم سعودي متواصل للآن لـ"جيش الإسلام" الذي يقاتل حول العاصمة دمشق، بأسلحة نوعية جديدة، من بينها مضادات طائرات وخارقات للدروع.

وكانت وقائع مثل الهجمات بطائرات من دون طيار على قاعدة "حميميم" الروسية في سوريا، وإسقاط "السوخوي 25" الروسية بواسطة صواريخ محمولة على الكتف من جانب جبهة "النصرة"، من أهم بوادر انحراف الحرب في سوريا إلى التصعيد مجدداً بعد فترة هدوء نسبي طويلة منذ بدء عملية "الأستانة"، وبدء العمل بنظام مناطق خفض التصعيد.

ومن بين أبرز المؤشرات التي تدل على التصعيد الكبير الحاصل في سوريا، الموقف في إدلب؛ حيث إنه، ومنذ عملية استعادة مطار "أبو الظهور" العسكري من قبل قوات الجيش السوري؛ فإن المنطقة تشهد الكثير من الغارات الجوية والعمليات البرية على الأرض، سواء من جانب النظام السوري، أو القوات الجوية الروسية، مع قيام الجيش السوري بنصب بطاريات صواريخ دفاع جوي متقدمة، في المناطق المتاخمة للعمليات التركية في "عفرين".

وهناك تقارير جاءت بالفعل، قالت بأن حادثة إسقاط الهيلوكوبتر التركية يوم العاشر من فبراير، تمت على أيدي الدفاع الجوي السوري، وليس الأكراد.

### رؤية إستراتيجية وعسكرية حول الحدث

مبدئياً، وبعيداً عن سرديات الحدث الكبير، فإن أول دلالة تنبغي الإشارة إليها في هذا الصدد، هو التغيير الحاصل في إستراتيجية التعامل أو التفاعل السورية مع الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة على مواقع عسكرية في سوريا.



# مركز سيمر للدراسات الإستراتيجية

## SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

ونقول "في سوريا" وليس "سورية"، لأن الغارات الإسرائيلية خلال السنوات الماضية، والتي تكثفت في العامين الأخيرين، شملت أهدافاً إيرانية وأخرى تابعة لـ"حزب الله"، وهو ما يوشر إلى أن هناك ما هو آتٍ في هذا الملف.

وللتوضيح؛ فإنه، ووفق ما نشرته إسرائيل من أدلة بصرية؛ فإن هناك بالفعل واقعة اختراق لطائرة من دون طيار للأجواء الإسرائيلية، وتمت بتقنية عالية، أي أنها ليست عملاً بدائياً لجماعة مسلحة من الجماعات العاملة في سوريا بجوار الحدود، ولو أن هذه الجماعات من الأصل لم تقم بأي عمل ضد الكيان الصهيوني طيلة السنوات الماضية.

والتقنية العالية لهذه الطائرة، لدرجة أنها قطعت 500 كيلومتر، ووصلت داخل حدود فلسطين المحتلة عام 1948م، حتى قرب "جنين" شمال الضفة الغربية الفلسطينية المحتلة عام 1967م؛ تقول بأنها منتج دولة وليس منتج أي طرف آخر.

والدولة التي تقف خلف هذه العملية؛ تعلم تمامًا أن إسرائيل تملك من وسائل الرصد والتعامل، ما سوف يمكّنها من اكتشاف الطائرة وإسقاطها، وسوف تقوم برد فعل إزاء هذا العمل، وبالتالي؛ فإن هذا العمل – إطلاق الطائرة من دون طيار – كان مقصوداً لاجتذاب إسرائيل إلى عملية عسكرية جديدة داخل الأراضي السورية، لإسقاط إحدى طائراتها المقاتلة.

ويدعم هذا التحليل، التقارير السابق الإشارة إليها بشكل جزئي في نقطة نشر دمشق لبطاريات دفاع جوي جديدة في المناطق الشمالية بعد بدء عملية "عفرين"، وتتلاءم مع تقارير عديدة سبقت، بعضها صدر عن الحكومة السورية ذاتها، ورد فيها أن سوريا قد حصلت على منظومات سلاح جوي حديثة من روسيا، ومن كوريا الشمالية وإيران.

وفي حقيقة؛ فإنه من الواضح أن هناك جهداً استخبارياً واسعاً قد تم لإحداث هذه اللحظة؛ حيث إنه كان من المعروف لدى الأطراف التي تقف خلف هذه العملية أن الكيان الصهيوني سوف يستخدم طائراته المقاتلة الجديدة من طراز "إف. 15" المتطورة، التي حصلت عليها من الولايات المتحدة، بجانب مقاتلات الـ"إف. 16".

فتم إسقاط واحدة من الطراز الثاني، وإصابة واحدة من الطراز الأول، وهي المقاتلة الأقوى في العالم، وبواسطة صواريخ حرارية بدائية للغاية، ربما تعود إلى الستينيات.



# مركز دراسات الاستراتيجية

## SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

وهنا تطل روسيا برأسها ولو من الخلفية.

فما تم الحصول عليه من معلومات خاصة في صدد ما جرى؛ يشير إلى أن الأمر متعلق بشفرات معينة تم رفق الصواريخ الدفاعية السورية الجديدة - روسية الصنع - بما مكَّنها من التغلب على عمليات التشويش الإلكتروني التي تتم من أجهزة المقاتلات الأمريكية، والتي مكنتها في السابق من الفرار من هذه النوعية من الصواريخ.

ولو ابتعدنا أكثر بعدسة كاميرا الرصد التحليلي هذا؛ فإننا سوف نقف أمام أمر شديد الأهمية يدعم هذا التحليل، نجده في وقت الحروب الباردة والساخنة، وكان شديد البروز في الحرب الباردة؛ وهو سعي الأطراف العظمى إلى إضعاف الأسلحة المتفوقة لدى خصومها، وإظهار ضعفها لأكثر من سبب.

الأول؛ عسكري بحت، وهو تحييد هذه الأسلحة المتفوقة، ومن المعروف في العلوم العسكرية، أن السلاح الدفاعي المتفوق، هو في حد ذاته سلاح إستراتيجي، وحتى هجومي الطابع، ولو بشكل غير مباشر؛ لأنه سوف يتيح للدولة استخدام أسلحتها الهجومية من دون خشية من رد فعل الخصوم، بينما الهدف الثاني، سياسي ومعنوي، وهو إظهار ضعف القوة الأخرى المنافسة.

ويبدو الوجود الروسي في الموضوع، وعمدية الموقف بالكامل؛ في التكامل الذي حدث في رد الفعل الروسي على الموقف بالكامل، بما بدا وكأن الخارجية والرئاسة الروسيتين ينتظران الموقف؛ حيث لاحظت قنوات دولية أن البيان الصادر عن الخارجية في موسكو تضمن عبارة لأول مرة تجيء في البيانات الروسية التي كانت تصدر في مثل هذه المواقف، وجاءت بعد دعوة روسيا لجميع الأطراف بضبط النفس واحترام سلامة وسيادة أراضيها، وهي عبارة: "احترام السيادة السورية"، وهي عبارة موجهة لإسرائيل، وتحمل نذيراً خفياً.

لذلك قام رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو بالاتصال بالرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، لتأكيد موقف إسرائيل الذي ذكر فيه نتنياهو أن الكيان الصهيوني لن يسمح بتحول سوريا إلى قاعدة إستراتيجية متقدمة لإيران، والسماح للأخيرة بإقامة قواعد عسكرية على الأراضي السورية.





# مركز سيمر للدراسات الإستراتيجية

## SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

### إسرائيل والمعادلة السورية

في حقيقة الأمر؛ تبدو إسرائيل معنية بالتصعيد ضد النظام السوري في الوقت الراهن أكثر من أي وقت مضى، وربما – للغرابة – تشترك معها تركيا في ذلك.

فالتطورات الأخيرة على المستوى الميداني في سوريا، جاءت في مصلحة دمشق؛ حيث استعاد الجيش السوري كل المدن السورية الكبرى، بل وكل المناطق السورية تقريباً، من قبضة الفصائل المسلحة والجماعات الإرهابية التي كانت تقاتل على الأراضي السورية، باستثناء مناطق الغوطة الشرقية، ومحافظة إدلب.

هذه التطورات لم تتم إلا بدعم سياسي وعسكري كبير تلقته دمشق في العامين الأخيرين، وكان ولا يزال أكثر ما يقلق إسرائيل بصورة أكبر من مسألة ضياع احتمال رحيل الأسد؛ هو نجاح الجيش السوري في إعادة تنظيم صفوفه، واستيعاب صفقات أسلحة جديدة نوعية.

يرتبط بذلك، وبشكل منطقي "أوتوماتيكي"؛ استقرار إيران و"حزب الله" في سوريا، باعتبار التحالف الذي يجمعهما بدمشق، وهو ما يعني فتح مجال حركة إستراتيجي شديد الاتساع أمام أهم خصوم إسرائيل الإقليميين.

وبالتالي؛ فإن إسرائيل – بالفعل؛ كما قال نتنياهو لبوتين – تجد أنه عليها، بل من واجبها منع حدوث ذلك؛ لأن الأمر يتعلق بصميم وجودها أصلاً!

### مغامرات خطيرة!

طبعاً كل ذلك يشير إلى أن الموقف في سوريا يسير في طور المغامرات الخطرة. صحيح أنها خطوات محسوبة بدقة من جانب أطرافها؛ إلا أنها تبقى خطيرة باعتبار أن الأمور لا تسير دائماً وفق الحسابات الموضوعية.



# مركز سام للدراسات الاستراتيجية

## SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

فقد يتدخل عامل خارجي، وهناك دول عظمى لها جنود على الأرض، بما فيها الولايات المتحدة، والسلوك الأمريكي في عهد الرئيس الحالي، دونالد ترامب، غير رشيد بالمرّة، وبدا في أكثر من مرّة، أنه من الممكن أن يخلق عاملاً مفاجئاً بسلوك غير محسوب، يقود إلى اشتعال الوضع بالكامل.

وهو بدأ بالفعل في الأزمة مع كوريا الشمالية، بل ومع إيران ذاتها، ولولا الموقف الأوروبي الصلب من الاتفاق النووي مع إيران؛ لكان ترامب قد انسحب منه مثلما فعل مع اتفاق باريس للمناخ، وأدخل العلاقات الإيرانية الغربية في دوامة كبيرة، وكان الموقف قد تآزم في الشرق الأوسط مع عدم وجود أي قيد على إيران.

ففي الوقت الراهن، يد إيران فعلاً مقيدة في كثير من الأمور لأنها ترغب في إعادة الاندماج في المجتمع الدولي ومعالجة مشكلاتها الاقتصادية التي قادت إلى وضع احتجاجي اجتماعي خطر في السنوات الأخيرة.

...

وفي الأخير؛ ما الذي سوف يحدث؛ فإنه بموجب الجنون الحاصل في المشهد الإقليمي؛ لا يمكن بحال التنبؤ بأي شيء، والأيام وحدها هي الكفيلة بتقديمه!

---

أحمد التلاوي: باحث مصري في شؤون التنمية السياسية، وكاتب أساسي في مركز سام للدراسات الاستراتيجية